Route Educational & Social Science Journal

Volume 5(13),December 2018

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
16.11.2018	30.11.2018	1.12.2018

الناصرة العثمانية: دراسة من خلال سجلات محكمة الناصرة الشرعية

The Ottoman Nazareth: Study through the records of the Nazareth Court of Sharia

حسين منصور

Hussein Mansour

ملخص

تهدف هذه الدراسة الى اظهار الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية للناصرة خلال الحقبة العثمانية في ضوء سجلات محكمة الناصرة الشرعية من عام 1818 وحتى عام 1918، وتسليط الضوء على اهمية سجلات محكمة الناصرة الشرعية في دراسة تاريخ الناصرة العثمانية، وقد بدأت بدراسة الجغرافيا التاريخية ثم ناقشت التبعية الإدارية للناصرة وأظهرت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتغيرات التي مرت بها الناصر وأثرها على نموها وتطورها وتحولها من قرية صغيرة بداية العهد العثماني الى مدينة حضرية ثم مركز قضاء أواخر العهد العثماني. اعتمدت الدراسة في الأساس على سجلات محكمة الناصرة الشرعية. كما أفادت الدراسة من مجموعة المصادر والمراجع التاريخية ذات العلاقة.

الكلمات الدالة: الناصرة العثمانية، الادارة، الاقتصاد، المجتمع ، سجلات محكمة الناصرة الشرعية.

Abstract

This study is aimes to study the city of Nazareth during the Ottoman Period (1818- 1918) through the records of the Nazareth Legal Court. And show administrative, economic and social changes experienced by Nazareth.

The study was presented in four axes: devoted to the presentation of historical geography, administrative, economic and social.

The study included the conclusion and list of sources and annexes that included some documents, maps and images.

Keywords: **Ottoman Nazareth**, **administrative**, **economic**, **social**, **records of the Nazareth Legal Court**.

مقدمة

الناصرة أكثر المدن العثمانية قداسة في الديانة المسيحية ، واستنادا الى القرآن الكريم ،أن الملاك جبريل (عليه السلام) بشّر السيدة مريم العذراء بولادة السيد المسيح ابن مريم (عليهما السلام). قال تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين". (1)

انتهى الوجود المسيحي في الناصرة إبان الحروب الصليبية بعد أن دمرها السلطان بيبرس البندقداري سنة 1263م، والسلطان خليل بن قلاوون 1291م، وبقيت خالية من السكان المسيحيين حتى عام 1538م حيث بلغ عددهم 30 نسمة معظمهم من الموارنة وسكنوا شمال الناصرة (2) وشهدت بعد ذلك الناصرة نشاطا ملحوظا منذ فترة الأمير فخر الدين المعني الثاني (1590-1635) تمثل في بناء الكنائس والأديرة، وحرص المسيحيون على زيارتها والحج إليها من مختلف الأقطار. (3)

لعبت الناصرة دوراً هاماً إبان العهد العثماني، وكانت تحظى بأهمية دينية واقتصادية وعمرانية وإدارية وكانت في معظم الأوقات قضاءً في لواء عكا بولاية صيدا وألحقت لفترة قصيرة بولاية سورية ثم ولاية بيروت وكذلك بمتصرفية القدس في الفترة (1906-1909).

أبقى العثمانيون بعد انتصارهم على المماليك في معركة مرج دابق سنة 1516م، الوضع الإداري في بلاد الشام على ما كان عليه، ليقوموا بتقسيمها إلى ست مناطق إدارية ، إحداها منطقة صفد التي قسمت إلى عدة نواحي، من بينها ناحية طبريا، التي ضمت عدة قرى بما فيها الناصرة، كذلك آثر العثمانيون ترك الحكام المحليين على رأس هذه التقسيمات الإدارية بعد أن أدوا قسم الولاء للسلطان العثماني وتعهدوا بتنظيم عملية جباية الضرائب وتسليمها لممثلي الدولة العثمانية والحفاظ على القانون العام .(4)

ومن المفيد بمكان أن نذكر مكانة الناصرة الدينية التي لعبت دوراً بارزاً في ازدهار نشاطها التجاري _ لا سيما _ أنها تقع بالقرب من الطريق التجاري دمشق- خان التجار- القدس، فنشطت الحركة التجارية فيها وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً في الدولة العثمانية خاضعة لاحتكار الحكام المحليين:

أبناء الأمير طراباي:

ينسبون لآل طراباي وتعرف بالأسرة الحارثية ولهم اقطاعات في ناحية اللجون ومرج ابن عامر من عام 1538م وحتى عام 1635م عندما ضمت الناصرة إلى سلطتهم بعد مقتل الأمير فخر الدين المعني الثاني عام 1635م على يد العثمانيين .(5)

ظاهر العمر الزيداني (1730م- 1775م)

أصبح ظاهر العمر ملتزما على بلاد صفد وطبريا بعد وفاة والده، واستطاع فرض سيطرته على الجليل منذ سنة 1730م واستولى على الناصرة سنة 1735م وهذا أدى إلى إحداث تحول الناصرة من قرية صغيرة إلى مدينة حضرية بعد إدراكه لأهميتها الاقتصادية والدينية والإستراتيجية .هذا التحول ساهم في تشجيع عدد كبير من السكان – خاصة – المسيحيين الاستيطان فيها، بعد أن شرع ببناء أهم مشاريعه العمرانية: السرايا والكنائس. كل ذلك ساهم في صعوده السياسي والاقتصادي وتعزيز مكانة الناصرة وتحويلها فيما بعد إلى مركز قضاء يخدم القرى المجاورة ومعظم مدن بلاد الشام .(6)

وتشير المعلومات المستقاة من سجلات محكمة الناصرة الشرعية إلى ظهور عدد من العائلات في المدينة أواخر القرن الثامن عشر نتيجة لتلك التحولات . فعلى سبيل المثال: عائلة إبراهيم الجرجيس المسيحية (ت 1777م) الذي امتلك في الناصرة دكاكين وبيوت وخانا عرف بالتحتاني وتمت مصادرته من قبل الوالي أحمد باشا الجزار خلال فترة حكمه (1776-1804م) .(7)

أحمد باشا الجزار وخلفائه (1776–1831م)

تسلم احمد باشا الجزار ولاية صيدا بعد مقتل ظاهر العمر عام 1776م فاستولى على ممتلكاته وخاصة سراياه في الناصرة، وأدرك أهمية الناصرة الإستراتيجية والاقتصادية والدينية، مما دفعه إلى ضمها إلى منطقة نفوذه بموافقة الدولة العثمانية .

عانت الناصرة وجوارها خلال فترة حكمه من جمود اقتصادي وتجاري خاصة بعد حملة نابليون بونابرت على فلسطين عام 1798م واعتبار الناصرة مركز قيادة الجيش الفرنسي ونقطة انطلاق لمحاربة الجيش العثماني في معركة جبل طابور وهزمت القوات العثمانية أمام الجيش الفرنسي. (8)

إن فشل حملة نابليون على عكا عام 1799م ، عكست مدى تماسك القوى المحلية في فلسطين ضمن إطار الدولة العثمانية وحافظت الناصرة على مكانتها الاقتصادية والتجارية حتى بعد وفاة أحمد باشا الجزار وتعيين سليمان باشا العادل (1804–1819م) التي تميزت فترة حكمه باستقرار الأوضاع واستتباب الأمن للسكان (9) وساهم في تطور النشاط الاقتصادي والتجاري الى حد انه أعطى تجار الناصرة ملكية فعلية للأملاك التي تملكها الدولة (10)، والتي تم الاستيلاء عليها خلال فترة الجزار (1776–1904) وهذا ما أشار إليه بيركهارت (Burkhardt) خلال رحلته للناصرة يوم 28 حزيران سنة 1812م أنها من المدن الرئيسية في باشاوية عكا (11).

تسلم عبد الله باشا (1819–1831) مقاليد الحكم بعد وفاة سليمان باشا العادل وأدرك أهمية الناصرة الدينية وانتشار الكنائس والأديرة فيها، وسعى إلى تحسين ظروف حياة المسحيين وإعادة ممتلكاتهم المصادرة خلال فترة

حكم أحمد باشا الجزار ، عندما أوعز إلى الشيخ عبد الله الفاهوم نائب الناصرة الشرعي في 8 صفر 1236هـ-1820م، وان يسمع الدعاوى التي قدمت إلى المحكمة الشرعية في الناصرة من أيام سليمان باشا العادل. (12)

الحكم المصري (1831-1840م)

تعتبر فترة الحكم المصري في فلسطين (1831-1840) النقطة الحاسمة لبداية التحديث والتي أدت الى سلسلة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية وفتح التغلغل الأوروبي في فلسطين الذي تعاظم بعد حرب القرم (1853-1856) بعد الضغوط التي يمارسها قناصل الدول الأوروبية على الحكومة العثمانية للحصول على مزيد من الامتيازات الأجنبية ن بادعاء حماية الأقليات الدينية المسيحية (13)وبإجراء تغييرات في الجهاز الإداري للولايات العثمانية، وإقامة تشكيل سنجق القدس (14)

ليشمل جميع الأماكن المقدسة المسحية في فلسطين خاصة : الناصرة ، بيت لحم ، صفد طبريا لتسهيل حركة الأوروبيين لهذه الأماكن وإقامة قنصليات لها في المدن الكبرى كالقدس ، يافا، حيفا .

التنظيمات العثمانية

بعد انتهاء الحكم المصري في فلسطين عام 1840 ، عاد الحكم العثماني الى البلاد مع إتباع سياسة التنظيمات لتتماشى مع سياسة التحديث التي اتبعها محمد علي باشا ، لكن الحكومة العثمانية لم تستطع أن تملأ الفراغ الذي خلفه الجيش المصري، وعلى الرغم من إصدار مرسومين إصلاحيين صدرا خلال فترة السلطان عبد المجيد (1839-1861) وهما: خطي كلخانه سنة 1839م، وخطي همايون سنة 1856م وذلك بعد أن واجهت الدولة العثمانية صعوبات عديدة من قبل الدول الأوروبية والحركات الانفصالية المطالبة بالانفصال نتيجة لضعف السلطة الحاكمة وزيادة التدخل في شؤون الدول العثمانية. (15)

تأثرت الناصرة بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية نتيجة التنظيمات العثمانية، وفتح المجال أمام التجار المسيحيين من الناصرة للعمل كوكلاء لتجار أوروبيين .(16)فزاد النشاط التجاري وتوسعت الأسواق المحلية لكثرة الأموال المتدفقة من الدول الأوروبية مما انعكس أثره على السكان المحليين وزادت عمليات البناء العمراني الذي شمل البيوت والدكاكين والخانات والمؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية .(17)

الجغرافيا التاريخية

الموقع: تقع الناصرة عند الطرف الجنوبي من جبال الجليل الأسفل ،وأسفل جبل النبي ساعين، على خط الطول (35و15 درجة) وعلى دائرة عرض (32و44 درجة) .(18)

وتمتد على عدة هضاب متقابلة مشرفة على سهل مرج ابن عامر (19) وهذا أدى الى اعتماد معظم سكانها على الزراعة ، خاصة زراعة الحبوب والقطن. وقد وصفه الفارس دارفيو "... بأنه لا يوجد منظر أكثر جمالا منه وأكثر اتساعا وتنوعا..." (20) وهضابها تكاد تكون مستديرة الشكل وترتفع في بعض الأحيان الى ما يقارب 400 متر عن سطح البحر.

من المفيد أن نذكر أنه مرّ عبر الناصرة، وبالقرب منها الطريق التجاري الرئيسي البري دمشق–خان التجار– القدس– الناصرة، ومن خان التجار الى مينائي حيفا وعكا، ساعد في ازدهارها وتطويرها وجعلها موقعاً استراتيجيا للتجارة المحلية والإقليمية واندمجت في فلك الاقتصاد الأوروبي خاصة في إنتاج القطن وتصديره الى أوروبا بشكل عام وفرنسا خاصة مما يفسر اهتمام ظاهر العمر الواضح بالناصرة ، وهذ ما يستدعينا تقصي التغيير الذي أحدثه على الناصرة وجوارها خلال فتة حكمه.

الحدود

تقع الناصرة في قلب الجليل الأسفل، ونستطيع أن نرى المناطق التي تحدها من فوق المرتفعات المحيطة بها ، فنرى جبال الكرمل من الغرب ومرج ابن عامر وجبل الدحي من الجنوب وجبل طابور من الشرق وجبل سيخ (النبي يونس) من الشمال، كما نرى القرى المحيطة بها من الشرق أكسال، دبورية، عين ماهل. ومن الغرب عيلوط، ومعلول، ومن الجنوب يافا وقرى مرج ابن عامر: سولم، نين، إندور. الناعورة والطيبة ومن الشمال الرينة وصفورية (21).

المساحة

تعتبر الناصرة من أكبر المدن الفلسطينية من حيث المساحة، وترجع السعة في المساحة الى موقف ظاهر العمر الزيداني عندما ألحق بها مساحات واسعة من أراضي مرج ابن عامر الجنوبية التي كانت تابعة الى سنجق نابلس.

لا يوجد قيد رسمي يبين مساحة أراضي الناصرة ، إذ هناك | أرقام متفاوتة ، فقد أشارت سالنامة ولاية سورية لعام 1299هـ-1882م الى أن مساحة قضاء الناصرة بلغت نحو 304.224 دونما (22) ومن خلال قيود الأراضي المقيدة على أصحاب الأملاك، يتبين مساحة الأرض تبلغ 1700 فدان ،أي ما يعادل 638.191 دونما واستحوذت أراضي الناصرة عام 1854م على مئة فدان رومي، أي ما يعادل 1400-1800 دونم، مع العلم ان الدونم عبارة عن 1600 ذراع مربع أو مبذر ثلاث صاعات حنطة . بينما أشار مصطفى الدباغ أن مساحة قضاء الناصرة تقدر بنحو 497.5 كم^2 وكان يضم عام 1904م (25) قرية ، وفي عام 1910م بلغ عددها (38) قرية ومزرعة (23) وهذا يفسر الاختلاف في تقدير مساحة أراضي القضاء.

أشارت سالنامة ولاية سورية في تقدير مساحة أراضي القضاء أنها ازدادت بشكل ملحوظ نتيجة التنظيمات العثمانية التي نجحت في تعزيز مركز الناصرة الديني والاقتصادي والإداري (24) ووصل أوجها أواخر القرن التاسع

عشر وأوائل القرن العشرين بناءا على ما ورد في سجلات محكمتي الناصرة وجنين الشرعيتين ودفاتر الطابو بعد أن قام كبار تجار الأراضي في الناصرة بشراء مساحات كبيرة من الأراضي التابعة لقرى قضاء جنين والمحاذية للحدود الجنوبية لأراضي الناصرة وهي :أندور، طمرة، سولم، نين، الناعورة، الطيبة، قومية، زرعين، نورس وضمها لأراضي الناصرة والتي أصبحت فيها بعد تابعة لقضاء الناصرة خلال فترة الانتداب البريطاني (1918-1948م). (25)

التبعية الإدارية للناصرة

احتلت الناصرة مكانة إدارية مهمة في الدولة العثمانية ولما كانت تشغله من وظائف إدارية متعددة ومتنوعة بسبب مكانتها الدينية وموقعها الاستراتيجي المهم الذي تمتعت به بحكم موقعها الاستراتيجي شرق الطريق التجاري بين خان التجار وميناءي حيفا وعكا .

بعد دخول العثمانيون بلاد الشام عام 1516 في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520)، وانتصارهم على المماليك في معركة مرج دابق شمال سورية ، أبقوا على التقسيمات الإدارية كما كانت أيام المماليك، فكانت بلاد الشام مقسمة الى ثلاث ولايات: ولاية حلب، الشام، وطرابلس. وكانت فلسطين تابعة الى ولاية الشام، التي قسمت الى ستة مناطق إدارية منها: صفد وتشمل عدة نواحي منها ناحية طبرية والتي ضمت عدة قرى منها الناصرة. (26)

كانت الناصرة في بداية العهد العثماني عام 1516م قرية صغيرة لم تلق أي اهتمام خاص وتفيد الاحصاءات المتوفرة منذ تلك الفترة أن عدد سكانها وصل نحو (215) نسمة جمعهم مسلمين. (27) منذ بداية القرن الثامن

عشر بدأت تظهر دلائل تشير الى أهمية مكانة الناصرة الدينية المسحية التي كان لها بالغ الأثر في جذب السكان المسلمين والمسيحيين. حيث بدا العديد منهم وبدافع ديني واقتصادي بالاستقرار فيها والعمل في الزراعة والتجارة والمهن المختلفة. كما استقر البعض فيها بإيحاء من الحكومة العثمانية تلبية لظروف سياسية وأمنية.

أدى الاحتلال المصري لبلاد الشام (1831-1840) الى سلسلة من التغييرات الإدارية للولايات العثمانية ففي عام 1864م أصدرت الحكومة العثمانية قانون الولايات بموجبه قسمت بلاد الشام الى ولايتين هما: ولاية سورية وولاية حلب.وشملت ولاية سورية لواء عكا وكانت الناصرة ضمن أقضية اللواء .(28)

وفي عام 1887م قررت الحكومة العثمانية إنشاء ولاية ثالثة هي ولاية بيروت التي ضمت لوائي نابلس وعكا بالإضافة الى لوائي بيروت وطرابلس.

وتشكل لواء عكا من الأقضية: حيفا ، صفد، طبرية، والناصرة وفصلت الأخيرة عن لواء عكا وألحقت بمتصرفية القدس عام 1906م، باعتبارها مركز ديني لدى المسيحيين مثل مدينة القدس وبيت لحم، ولتسهيل زيارة الحجاج المسيحيين للأماكن المقدسة المسيحية.

ثم لم تلبث الى ان اعيدت الناصرة الى لواء عكا وفصلها عن متصرفية القدس عام 1909م بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني وبامر من حكومة الاتحاد والترقي. (29)

كان هدف الدولة العثمانية من التقسيمات الإدارية ضمان سيطرة الحكومة وتسهيل إدارتها وتشكيل وحدات إدارية إضافية وتعيين موظفين ادريين موالين لها وإعطائهم صلاحيات واسعة للحفاظ على وحدة وتماسك ولايات الدولة العثمانية والتصدي للأطماع الأوروبية والتدخل في شؤونها الداخلية والخارجية ، خاصة في الولايات والألوية التي تكثر فيها الطوائف المسيحية.

الجهاز الاداري في الناصرة

أصدرت الدولة العثمانية عام 1864م قانون ادارة الولايات الجديد الذي هدف الى تقسيم الدولة العثمانية الى ولايات، تتألف الى كل واحدة منها الى ألوية يترأسها ولاة (متصرفون) ، وتتألف الألوية من اقضية يترأسها قائمقامون، وتتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرو نواح ، وكل ناحية تضم عدة قرى وتدار من قبل المخاتير.

حسب التنظيمات الجديدة من قانون الولايات لعام 1864م كانت الناصرة مركزاً لقضاء يتبع للواء عكا أحد ألوية ولاية سورية (30) وبعد انشاء ولاية بيروت عام 1887م انتقلت تبعية لواء عكا وقضاء الناصرة من ولاية صيدا الى ولاية بيروت (31) حتى عام 1906م، حيث الحق قضاء الناصرة الى متصرفية القدس بعد فصله عن لواء عكا حتى عام 1909م، ثم أعيد الى لواء عكا حتى نهاية الدولة العثمانية عام 1918م.

الوظائف الإدارية

- القائمقام: يقف على رأس القضاء ويكون مسؤولا مباشرة أمام متصرف لواء عكا وتخضع له مجلس ادارة القضاء وبلغ عدد أسماء القائمقامين الذين تبوأوا مناصبهم في الناصرة من سنة 1868 وحتى سنة 1913، (47) قائمقام ومن بينهم : خسروبك، محمد بك، حافظ بك،محمود بك، مصطفى افندي ، فوزي مكي أفندي وآخرون.(32)
- مجلس إدارة القضاء: تشكل من: القائمقام ، نائب الشرع، المدير المالي، كاتب التحريرات والأعضاء الدائمين والمنتخبين،أمين الصندوق، كاتب النفوس، كاتب الطابو ، مأمور التلغراف، البوستة، ادارة الديون العمومية والتحصيلدار .(33)
- المجلس البلدي: تألف حسب قانون الولايات لعام 1871م من: رئيس ، كاتب، أمين صندوق، مفتش، ستة أعضاء بالإضافة إلى أعضاء استشاريين منهم: طبيب المدينة، مهندسها وكاتب البلدية، وكان المجلس يعقد اجتماعاته مرتين في الأسبوع .(34)

- الجهاز القضائي: تشكل من محكمة الناصرة الشرعية ومحكمة بداية الناصرة وترأس كلا المحكمتين نائب الشرع ويساعده نائبه وكاتب المحكمة والمستنطق والأعضاء. تجدر الاشارة أن معظم نواب الشرع في الجهاز القضائي قد قدموا من مدن بلاد الشام ومدن عثمانية أخرى، بلغ عددهم منذ الفترة (1911-1776) (36) ستة ثلاثون نائبا. (35)
- اهتمت المحكمة الشرعية في حل القضايا الشرعية والمدنية والخلافات والمنازعات بين الناس. جرى تعيين القضاة الشرعيين فترة زمنية لا تزيد عن سنتين بأمر من قاضي عسكر أناضولي أضف الى ذلك أن محكمة بداية الناصرة تشكلت للبت في أمور وقضايا خارجة عن صلاحيات المحكمة الشرعية. (36)

الجوانب الاقتصادية

تشكل موقع الناصرة الاستراتيجي نقطة تحول في الجوانب الاقتصادية لا سيما موقعها المتوسط بين خان التجار ومينائي حيفا وعكا، فنشطت التجارة المحلية والاقليمية وتبدلت الأنشطة والفعاليات الاقتصادية قبل فترة التنظيمات العثمانية والتي ارتفعت خلال فترة ظاهر العمر الزيداني الذي نجح في السيطرة على شمال فلسطين وجعل الناصرة مقر اقامته بعد عكا وتحويلها الى مركز تجاري يخدم القرى المجاورة لها ومعظم المدن العثمانية. (37) تأثرت الناصرة بشكل كبير في التطورات والتحولات الاقتصادية بعد اصدار التنظيمات العثمانية التي فتحت المجال أمام التجار وظهرت الفعاليات التجارية والأنشطة الاقتصادية بعد اصدار قانون الولايات عام 1864 ووصلت القمة أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وأشارت سجلات محكمة الناصرة الشرعية الى نماذج عديدة

من هذه الجوانب مثل: البيع والشراء وأسعار العقارات والأراضي (38) مما جعل الناصرة مركز لجذب التجار المستثمرين.

الأراضي

أصدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي العثماني عام 1858 بعد أن ألغت نظام الإقطاع ، فأحدث القانون تحولات جذرية اقتصاديا وديمغرافيا، فتح المجال أمام التجار باستغلاله وأدى ذلك الى ظهور طبقة من ملاكي الأراضي والعقارات التي عملت في معظمها بتجارة الأراضي وتحقيق سيطرة اقتصادية على الناصرة وجوارها وتحويل الأراضي الى سلعة تجارية ،مما شجع عددا كبيرا من الفلاحين على بيع أراضيهم للتجار الذين استغلوا الضائقة المالية وقاموا بإقراضهم المال بفائدة تتجاوز 20% .(39)

أشارت سجلات محكمة الناصرة الشرعية الى أصحاب الملكيات الرأسمالية، وأن ملكية الإخوة سرسق في الناصرة وجوارها بلغت حوالي مئات الآلاف من الدونمات بمساعدة وكلائهم الشرعيين أصحاب الملكيات المتوسطة وصغار تجار الأراضي، حيث بدأ نشاطهم بشراء الاراضي في فلسطين منذ عام 1869 حيث استغلوا ظروف الفلاحين الصعبة فأغروقهم بالقروض وبالتالي أمكنهم ذلك من السيطرة على أراضيهم بعد عرضها في سوق المزاد بالناصرة (40).

الزراعة

اعتمد أهالي الناصرة على مهنة الزراعة خاصة البعلية التي تعتمد على مياه الأمطار وكانوا يزرعون اراضيهم بالمحاصيل الزراعية مثل: الحنطة والشعير والسمسم والذرة والقطن والأشجار المثمرة .(41)

تميزت اراضي الناصرة بخصوبتها وساعد على ذلك كمية الأمطار التي هطلت ، واستخدام الآلات الزراعية الحديثة أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين المصنعة في سوق الحدادين بالناصرة ، ساعد ذلك في زيادة الانتاج

الزراعي والمحاصيل الزراعية لغايات التجارة والتصنيع- لاسيما – تجارة الخضراوات والفاكهة وتسويقها في أسواق الناصرة خاصة سوق الخضار وسوق الجرينة، سوق العطارين وسوق السمانة أضف الى ذلك عملية تخزين المحاصيل في مخازن خاصة ثم تنقل الى الدكاكين داخل الأسواق (42) والفائض عن الاستهلاك المحلي كان ينقل الى مينائي حيفا وعكا لتصديره الى الدول الأوروبية المختلفة .

وكانت أسعار المحاصيل الزراعية تتأثر بعوامل عديدة منها : الجفاف ، الأمراض ، الجراد، انحباس الأمطار والتي ألحقت ضررا بالغا في القطاع الزراعي. (43)

الصناعة

استفادت الناصرة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت خلال فترة الدراسة والتي كان لها أثر على تغير طرق التجارة المحلية والاقليمية مما أدى الى ارتفاع عدد التجار وأصحاب المهن والحرف في الناصرة، الذين أقاموا علاقات اقتصادية وتجارية مع تجار مدن الدولة العثمانية وتجار أوروبيين، ساعد ذلك على جعل الناصرة متطورة اقتصاديا ومتوفر فيها كل ما يحتاجه السكان من البضائع والسلع والمنتجات الغذائية المحلية والأوروبية وصناعة المنسوجات والأقمشة والملابس وصناعة الأواني النحاسية والأدوات الحديدية وعمل الأحذية المحلية والأوروبية لجميع الفئات الاجتماعية. (44)

هذه المهن والحرف والصناعات المتعددة اكسبت الناصرة شهرة محلية واقليمية وزادت من خلالها فرص الاستثمار من كبار التجار الذين قاموا بدور أساسي في نمو وتطور الصناعة ثم تحويلها من مهن وحرف وتجارة بالاضافة الى الدور الاقتصادي والاجتماعي خاصة التعاون مع فئات المجتمع المختلفة مثل: الشخصيات الدينية والإدارية والمحلية من أجل نمو وتطور المدينة. (45)

الأسواق

اعتبرت أسواق الناصرة مركزا هاما للنشاط الاقتصادي، ومكان للاحتكاك الاجتماعي وموضع التعامل والمبادلات بين سكان الناصرة والقرى المجاورة. وعن طريقها كان يحصل كل شخص على احتياجاته المعيشية ومستلزماته الضرورية. وتكمن أهمية الأسواق حين تكون ذات موقع استراتيجي، واهتم العثمانيون ببنائها في أماكن سهلة مكنت روادها من وصولها بكل يسر وسهولة، وتم اختيار مركز المدينة مكانا مناسبا لأقامتها بجانب الجامع ومباني الحكومة، الواقعة بين حارات الناصرة الثلاث: حارة الروم، حارة اللاتين وحارة الإسلام.

تجدر الإشارة الى أن أسواق الناصرة مقسمة الى عدة أقسام يتخصص كل قسم في صناعة أو تسويق سلعة معينة، فنجد أصحاب الحرفة أو التجارة الواحدة مجتمعين في قسم واحد من السوق كسوق الخواجات، سوق الحدادين، سوق الإسكافية، سوق العطارين، سوق النحاسين، سوق الصياغ،... الخ.

الجوانب الاجتماعية

برزت التحولات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني خلال الحكم المصري (1831-1840) وأستمر العثمانيون بإبراز هذه التحولات بعد اصدار منظومة الاصلاحات الخيرية خاصة قانون الولايات العثمانية عام 1864 وتعديله عام 1871م، وما رافقها من أبعاد أثرت على المجتمع الفلسطيني منها التغلغل الأوروبي وتأثر البلاد من التطورات والتغييرات الاجتماعية الأوروبية التي غزت البلاد.

ظهرت نتائج ذلك تعطي ثمارها أواخر القرن التاسع عشر، وظهر ذلك واضحا في الناصرة وجوارها ، أدى التغيير في صورة المجتمع الفلسطيني وتغيرت العلاقات بين فئات المجتمع بعد ان تمتع المسيحيون بالمساواة مع المسلمين بعد اصدار خطي كلخانه عام 1839 وخطي همايون عام 1856م وبضغط من الدول الأوروبية الكبرى تغلبت مكانة المسيحيين على مكانة المسلمين وظهر ذلك واضحا في الوظائف الإدارية للناصرة بعد أن تقلد طنوس قعوار

(46) (مسيحي الملة) أول منصب لرئاسة بلدية الناصرة عام 1885م. بينما قدم الى الناصرة بداية القرن التاسع عشر كصاحب دكان في سوق العطارين .(47)

كان لهذه التطورات أبعاد على المبنى الاجتماعي والديمغرافي وظهور تحول ديمغرافي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من أغلبية إسلامية الى أغلبية مسيحية في الناصرة .وتضاعف عدد السكان بداية القرن التاسع عشر عام (1812) من 1000 نسمة الى نحو 8574 نسمة عام 1915م. (48) رافق ذلك زيادة في الحركة العمرانية (48) وتوسعت الحارات وزادت البيوت والأسواق والدكاكين والمدارس والكنائس والأديرة والمستشفيات والمقامات .

كما ظهرت طبقات اجتماعية عليا أفرزت سيطرة أصحاب الجاه والنفوذ في المجتمع على الوظائف الإدارية والاقتصادية والدينية للناصرة ، وطبقة عامة من الكادحين والفلاحين وعامة الناس وهم أصحاب مهم وحرف متنوعة: حجارون، عتالون، بائعون، عمال باليومية، حصادون ، بوابون، عجالون وغيرهم.

وهم يشكلون قاعدة عريضة من الهرم الاجتماعي للمدينة. (50)

الخاتمة

اهتمت الدولة العثمانية بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والعمراني للناصرة منذ فترة ظاهر العمر الزيداني حتى عام 1918م وكان هدفها تحسين الوضع الأمني والاقتصادي والاجتماعي وقد استفاد التجار والحرفيون وأصحاب المهن والألقاب الدينية والاجتماعية من ذلك بإتاحة الفرصة لهم باستثمار أموالهم في شراء البيوت والدكاكين والعقارات والأراضي مما مكنهم من السيطرة على الانشطة الاقتصادية. كما برزت عائلات اسلامية ومسيحية

عملت في الوظائف الدينية والإدارية والتجارة فأصبحت من العائلات الغنية والوجيهة ذات النفوذ في الناصرة كعائلة: الفاهوم ، الزعبي، قعوار، عون الله ، جرجروه، اللحام وغيرهم وانعكس ذلك على التطور العمراني والديمغرافي للمدينة .

أشارت الوثائق الشرعية أن الناصرة مرت بسلسلة من التطورات الاقتصادية والاجتماعية خلال فترة الدراسة شملت كافة الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وأصبحت من أهم المدن العثمانية على الصعيد الاداري والاقتصادي والديني.

مصادر البحث

1. القرآن الكريم. سورة آل عمران. آية 45.

2. حنا سمارة. مختصر تاريخ الناصرة. مخطوط في مكتبة الجامعة الاردنية (عمان).مركز المصغرات الفلمية. شريط رقم 1345 .ص6 . انظر ايضا: عيسى اسكندر المعلوف.دواني القطوف في تاريخ بني معلوف (بعبدا (لبنان):المطبعة العثمانية في بعبدا .1907). ص129 .

3. Moshe Sharon, " The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", Studies on Palestine During the Ottoman Period, Moshe Maoz (ed),(Jerusalem : The Magness Press, the Hebrew University Institute of Asian and African Studies Yadishak Ben Zvi, 1975),pp.28_29.

4. عبد العزيز عوض. الادارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914 (القاهرة: مطبعة المعارف. 1969).ص61 . عبد الكريم رافق. فلسطين في العهد العثماني. الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني, المجلد الثاني(بيروت: 1990), ص689 . محمد عيسى صالحية. سجل اراضي ألوية (صفد، نابلس، غزة وقضاء الرملة) حسب الدفتر رقم 312 تاريخه 964 هـ/ 1556 م (عمان (الاردن):جامعة عمان الاهلية. 1999 م). ص26 .

5. محمد عدنان البخيت. "الأسرة الحارثية في مرج ابن عامر 1480 _1677 ". مجلة الابحاث . عدد 28 (1980). ص55 -78 . اسعد منصور. تاريخ الناصرة من اقدم الأزمنة الى أيامنا الحاضرة (مطبعة واوفست الحكيم. 1983).ص46 . ليلى الصباغ. فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو (بيروت: المصادر. 1996). ص73 -74 .

6. Ahmad Joudah, Revol t in Palestine in the Eighteenth Century: The Era of Shaykh Zahir al – Umar(Princeton. N.J: 1987), p.130. Amnon Cohen,Palestine in the Eighteenth Century:Patterns of Government and Administration (Jerusalem : The Magness Press and Hebrew University, 1973), p.130.

7. سجل محكمة الناصرة الشرعية. مجلد (بدون رقم). في غرة رمضان . 1244 هـ/1828 م.ص91 – 93 .

8. نوفل نعمة الله نوفل. كشف اللثام عن محيي الحكومة والأحكام في اقليمي مصر وبر الشام (طرابلس (لبنان):جروس بريس.1990). ص153. 228 . حيدر الشهابي. لبنان في عهد الامراء الشهابيين (ج2. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية. 1969). ص163 .

9. اشارت الوثائق الشرعية أن سليمان باشا العادل كان والي صيدا وطرابلس. للمزيد أنظر: سجل محكمة الناصرة الشرعية . مجلد (بدون رقم). 1227 هـ/ 1812 م.ص15 . ابراهيم العورة.تاريخ ولاية سليمان باشا (صيدا (لبنان) : مطبعة دير المخلص. 1936).ص10 .

10. سجل محكمة الناصرة الشرعية. مجلد (بدون رقم). 1244 هـ/ 1828 م. ص91 – 93 .

11. John Lewis Burckhardt, Travel in Syria and the Holy Land (London : John Murray Albemarle Street,1822),p.340.

12. ويتبين من وثائق محكمة الناصرة الشرعية أن عبد الله باشا شغل منصب والي صيدا وطرابلس ومتصرف لوا غزة هاشم. للمزيد أنظر: سجل محكمة الناصرة الشرعية . مجلد (بدون رقم). 1244 هـ/ 1828 م. ص93 . العورة. تاريخ ولاية سليمان باشا . ص464 . منصور. تاريخ الناصرة. ص59 .68 .

13. Alexander Scholch,Palestine in the Transition Period, 1856 – 1882 : Studies in Social Economic and Political Development (Washington : 1993),pp. 49 -50.

14. منصور. تاريخ الناصرة. ص102.

15. James Finn ,M.R.A.S, Stirring Times or Records from Jerusalem Consular Chroniles of 1853 to 1856 (London : C.Kegan Paul, 1878), Vol.2.pp.444-445.

16. Scholch, Palestine, p.146.

17. للمزيد أنظر: سجل محكمة الناصرة الشرعية. مجلد(19).ص16.22.23. 47. 65 . مجلد (4) ص40. 60. 65 .

18. سالنامة ولاية سورية سنة 1318 هـ/ 1908 .ص300 .منصور. تاريخ الناصرة. ص6-7 .

19. يقع سهل مرج ابن عامر جنوب الناصرة ويشتهر بخصوبة أراضيه واتساعها " وقسم الى قطع مربعه من الأرض المزروعة والحقول، بحيث تبدو من مسافة بعيدة كأنها قطع في لوحة من الفسيفساء الملونة بالبرتقالي والأصفر والرمادي والأخضر والبني والأورجواني...).

20. Mary Eliza Rogers, Domestic Life in Palestine (London: Kegan Paul International Limited, 1989), pp.126-127.

21. منصور، تاريخ الناصرة، ص7; مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج7، القسم الثاني، الطبعة الاولى(عمان: الشركة الدولية لطباعة والنشر، 1974)، ص34-35; سجل محكمة الناصرة الشرعية، مجلد(بدون رقم)، 1225هـ/ 1810م، ص15-16; وقد اشارت جريدة سوريا سنة 1302هـ/ 1885م الى الخلافات التي حدثت بين المناطق المختلفة في قضاء الناصرة على الحدود ونشرها وتشكيل لجان من الاطراف المتنازعة لحل هذه الخلافات، للمزيد انظر: جريدة سوريا، عدد 1016، 12 رمضان سنة 1302هـ، 13 حزيران 1885 م، ص1.

22. سالنامة ولاية سوريا، دفعه 3، سنة 1288هـ/ 1882م، ص245.

23. الدباغ، بلادنا فلسطين، ص7-8; منصور، تاريخ الناصرة، ص286; غنايم، لواء عكا،ص46 -51.

24. ضم قضاء الناصرة التابع الى لواء عكا عام 1303 هـ /1884م، 26 قرية وهي: صفورية، الرينة، معلول، يافا، المجيدل، المشهد، دبورية، العفولة، الفوله، جباتا، جنجار، تل الشمام، سمونية، عين البيضا، طرعان، كفركنا، عين ماهل، كفر مندا، كوكب ابو الهيجا، إكسال خنيفس، البعينة، رمانه، العزير، عيلوط، انظر: سالنامة ولاية سوريا، 1303هـ/1884م، دفعة 17، ص 198.

25. سجل محكمة الناصرة الشرعية. مجلد (19). 1311 هـ/ 1891م .ص11 .18 .21 . 28 -29 . 35- 38 . 46 – 48 .52 .57 .71 . مجلـــد (20) . 1318 / 1900 م . ص8 . 15 . 17 .19 – 22 . 23 – 37 . 44 . 50 – 51 . 56- 58 . 71 – 72 . 86 , 103 -

, 155 – 154 , 149 , 148 , 137 , 132 – 131 , 121 – 120 , 117 , 104
170 , 176 – 177 . مجلد (21) , 1302 هـ/ 1885م , ص84 .

26. عوض , الأدارة العثمانية , ص61 .

27. Bernard Lewis," Nazareth in the Sixteenth Century According to the Ottoman Tapu Registers",Studies in Classical and Ottoman Islam (7th-6th Centuries) (London, 1976), pp.416-425.

28. أشار سجل محكمة الناصرة الشرعية أن قضاء الناصرة وشفاعمرو ضمن ولاية سوريا. للمزيد انظر: سجل محكمة الناصرة الشرعية . مجلد (7). 1285 هـ/1869م .ص1 .84 . رافق, فلسطين, ص864. غنايم, لواء عكا, ص45 .

29. سجل محكمة الناصرة الشرعية, مجلد (22), 1321 – 1328هـ/1903 -1911م, ص60 -89 . مجلد (24),1331هـ/1914م ,ص1.

30. سجل محكمة الناصرة الشرعية ,مجلد (18), 1304هـ/1886م ,ص1 .

31. سالنامة ولاية بيروت , 1311هـ/1893م , دفعة (1), ص175 .

32. سجل محكمة الناصرة الشرعية, مجلد (22), 1322هـ/1904م ,ص1 . مجلد (7), 1287هـ/1871م,ص36 . سالنامة ولاية سورية سنة 1291هـ/1874م ,ص77 . 1293هـ/1876م,ص113 .1294هـ/1877م,ص104 . 1298هـ/1880م ,ص198 . سالنامة دولة عثمانية , 1299هـ/1881م ,ص138 . 1312هـ/1894م ,ص582 . 1325هـ/1906م ,ص197 .

33. سالنامة ولاية بيروت , 1311هـ/1893م , دفعة (1), ص181 . سالنامة ولاية سورية ,1291هـ/1874م ,ص77 . 1293هـ/1876م ,113 . 1294هـ/1877م ,ص104 .

34. سالنامة ولاية سورية, 1298هـ/1881م, دفعة (13), ص199 . 1303هـ/1886م, دفعة (18), ص143 . الدستور , ترجمة نوفل نعمة الله نوفل , مجلدان (بيروت: المطبعة الادبية , 1883م) ,ص420 . منصور, تاريخ الناصرة, ص302 .

35. للمزيد,انظر: سجل محكمة الناصرة الشرعية, مجلدات (1-36), من الفترة الزمنية (1869 -1918).

36. اشارت السالنامات العثمانية الى المحكمة الشرعية في الناصرة وذكرت : نائب الشرع, كاتب المحكمة والمفتي, للمزيد, انظر: سالنامة ولاية سورية, 1292هـ/1875م,ص77 . 1293هـ/1876م,ص113 .1294هـ/1877م ,ص104 . 1298هـ/1901م, ص198 . سالنامة دولة عثمانية, 1312هـ/1894م,ص582 . 1325هـ/1907م, ص160 . سالنامة ولاية بيروت, 1311هـ/1893م, دفعة (1),ص181 .

37. Abbe Mariti ,Travels Through Cyprus, Syria and Palestine with a General History of the Levant (Dublin: 1792),pp.345-348.

38. سجل محكمة الناصرة الشرعية, مجلد (19),1310هـ/1892م, ص16,22,47,56 . مجلد (4), 1315هـ/1897م, ص40,60,65.

39. سجل محكمة الناصرة الشرعية, مجلد (1),1291هـ/1874م,ص32,49,136,141. مجلد (3),1328هـ/1910م, ص16. مجلد (4), 1317هـ/1899م, ص40-43, 101,111

,115, 135 . مجلـد (20), 1324هـ/1908م, ص134 . مجلـد (21), 1306هـ/1888م, ص95.

40. سـجل محكمـة الناصـرة الشـرعية, مجلـد (16), 1328هـ/1915م, ص95. مجلـد (5), 1319هـ/1904م,ص60,69,71. مجلـد (20), 1318هـ/1900م, ص102, 123. مجلـد (21), 1302هـ/1885م, ص16. مجلد (22), 1332هـ/1914م, ص18-26.

41. جريدة المقتبس, العدد (770), 9 رمضان, 1326هـ/ 2 أيلول 1908م, ص2. محمد عبد الجواد القاياتي, نفحة البشام في رحلة الشام (بيروت: دار الرائد العربي, 1981م), ص103. Rogers, Domestic, pp.126-127.

42. سـجل محكمـة الناصـرة الشـرعية, مجلـد (1), 1291هـ/1874م, ص12,257. مجلـد (21), 1302هـ/1885م, ص23-24. نقولا زيادة, أيامي (بيروت: هزار,1992م),ص12,31.

43. جريدة الأتحاد العثماني, عدد (172), 25 ربيع اول سنة 1327هـ/2 نيسان 1912م, ص3. جريدة البشير, عدد (144), 14 آذار سنة 1879م, بدون صفحة.

44. سـجل محكمـة الناصـرة الشـرعية، مجلـد (1)، 1294هـ/1874م،ص191 . مجلـد (19)، 1310هـ/1892م، ص5 -6 ، 71 . مجلـد (5)، 1316هـ/1898م، ص66 . مجلـد (21)، 1306هـ/1888م، ص23 ، 71 ، 92 . منصور، تاريخ الناصرة، ص250 .

45. سـجل محكمـة الناصـرة الشـرعية، مجلـد (1)، 1294هـ/1874م، ص8 ،82 . مجلـد (3)، 1328هـ/1910م، ص192 ، 212 . مجلـد (4)، 1317هـ/1899م، ص144 ،155 ،187 .

مجلـد (20)، 1326هـ/1907م، ص117، 120 . مجلـد (21)، 1306هـ/1888م، ص1، 23، 68، 82 ، 92 ، 101 .

46. سالنامة ولاية بيروت، 1311هـ/1893م ، دفعة (1)، ص182 . منصور، تاريخ الناصرة ، ص302 . غرايبة ، سوريا ، ص26 -28 .

47. سـجل محكمـة الناصـرة الشـرعية، مجلـد (19)، 1310هـ/1892م، ص5 -6 . مجلـد (1)، 1294هـ/1877م، ص191.

48. Scholch, Palestine, pp.59-61. غنايم، لواء عكا، ص111 .

49. K.Baedeker, Palastina Und Syrien (Leipzig : Karl Baedeker, 1891), p.264. Schumacher,G."Das Jetzige Nazareth"ZDPV,(1878-1945),BD.13.1890,p.240.

50. أشارأندريه ريموند في كتابه " المدن العربية الكبرى" أن مجتمع المدينة العربية يتكون من شرائح اجتماعية متعددة ومن طوائف مختلفة. للمزيد انظر: Andre Raymond, The Great Arab Cities in the 16th-18th Centuries an Introduction (New Yourk : 1984), pp.18-19.